اتجاهات التصنيف في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم قديماً وحديثاً

الأستاذ الدكتور/ طارق عثمان الرفاعي
أستاذ التفسير وعلوم القرآن – جامعة الملك فيصل

ملخص البحث:

يتناول البحث علم توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، والذي يعد فناً عزيزاً من فنون علوم القرآن، وسراً من أسرار إعجاز كلام رب العالمين، ولقد حظي باهتمام من أهل العلم قديماً وحديثاً، أفرده البعض بالتصنيف، وأدرجه آخرون ضمن مصنفاتهم في علوم القرآن، واهتم به بعض المفسرين وأغفله آخرون، وهذا البحث يهدف إلى تسليط الضوء على هذا العلم المهم من حيث تعريفه، وأقسامه، ونشأته، وتتبع الجهود التي بذلها أهل العلم في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن، وأبرز اتجاهات التصنيف فيه، مع ذكر العديد من الأمثلة.

وقد لفت البحث الأنظار إلى أهمية علم توجيه المتشابه اللفظي في القرآن لما يحوي من أسرار بيانية ونكات بلاغية تمثل وجهاً من وجوه إعجاز النظم، وخلص الباحث إلى تنوع المصادر التي اعتمد عليها العلماء في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن، والطرق التي سلكوها لتعليل الاختلافات بين الآيات المتشابهة.

المـــقدمـــة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله، وأصحابه أجمعين، أما بعد:

القرآن الكريم هو كلام الله المعجز للخلق في أسلوبه ونظمه، وفي تشريعاته وأحكامه، وفي علومه وأخباره. تحدى الله به الأنس والجن عامة فقال: ((قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)) وتحدى الله به العرب على وجه الخصوص بصور متعددة وأساليب متنوعة، وعبارات قوية تستفز العزيمة وتدفع إلى المباراة، فأعجزهم ببلاغته وبيانه الشامل للفظ والتراكيب والمعنى فولوا الأدبار، ومالوا إلي العناد والمكابرة، وقالوا: ((قَدْ سَمِعْنا لَوْ نَشاءُ لَقُلْنا مِثْلَ هذا إِنْ هذا إِلَّا أَساطِيرُ الْأَوَّلِينَ)).

ولقد اعتنى علماء المسلمين بإعجاز القرآن الكريم فألفوا فيه الكثير من الرسائل والكتب وكان الجانب الأبرز هو إعجازه البياني.

وهذا البحث يعرف بجهد متميز في فنٍ من فنون علوم القرآن يعد سراً من أسرار إعجاز كلام الله جل وعلا ألا وهو توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم. الذي ألف فيه علماء أجلاء مؤلفات لها أثر كبير ومكانة عظيمة في هذا الشأن. وسنستعرض في هذا البحث أبرز اتجاهات التصنيف فيه، من دون استقصاء لكل الدراسات التي بحثت فيه بما تسمح به هذه السانحة.

خطة البحث: يشتمل البحث على مقدمة وسبعة مباحث وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: مفهوم توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: أقسام المتشابه اللفظي في القرآن.

المبحث الثالث: نشأت علم المتشابه اللفظي ومراحل تطوره.

المبحث الرابع: أهمية علم توجيه المتشابه اللفظي في القرآن وفوائده.

المبحث الخامس: اتجاهات التصنيف في توجيه المتشابه اللفظي.

المبحث السادس: مصادر العلماء في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن.

المبحث السابع: أمثلة لتوجيهات العلماء للمتشابه اللفظي في القرآن.

هذا، واللهَ أسالُ أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله ذخرا يوم يقوم الناس لرب العالمين، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول/ مفهوم توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم:

توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم كلمة مركبة من كلمة توجيه والمتشابه اللفظي وقبل أن نبين التعريف الاصطلاحي لهذا المركب نتعرف على الجزئيات التي يتكون منها هذا المركب.

أولاً/ معنى كلمة توجيه في اللغة والاصطلاح:

التوجيه لغة: مصدر يوجه توجيهاً، فهو مُوجِه، والمفعول مُوجَه، وتدور معانيه في معاجم اللغة حول معنى واحد، مفاده: صَرف المحتملات إلى معنى يجمعها، ورفع ما يُوهِم غير ذلك، ولهذا صح أن يوصف بالحُسن والقُبح، وما شابه ذلك، وقد جاء في القرآن الكريم ما يُفيد هذا المعنى، قال تعالى: ((وَضَرَبَ اللّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ)) [سورة النحل، الآية "٧٦"] أي إذا وجهه إلى أي جهة لا يأت بخير قط.

يقول ابن فارس: "وجّهْتُ الشّيءَ: جعلته على جهة .. والتّوجيه: أن تَحفِر تحت القِثاءة أو البِطيخة ثم تُضجِعها"[١]، ووَجَّهْ الشيء أى بيّن وجهه، أو جعله ذا وجه، أي شرفه وعظمه، ويقولون: لكلامك وجه أي صحة. ووَجْهُ الْكَلَامِ: السبيلُ الَّذِي تَقْصِدُهُ بِه[٢]. وهو ما أكده غير واحد من علماء اللغة[٣].

أما التوجيه في اصطلاح أهل اللغة: هو " إيراد الكلام على وجهٍ يندفع به كلام الخصم، وقيل: عبارة على وجه ينافي كلام الخصم"[٤].

وعند علماء البلاغة هو: " أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى احتمالًا مطلقًا، من غير تقييد بمدح أو غيره،..."[٥].

في اصطلاح المفسِّرين يُراد به أحد معنيين:

الأول: بيان وجه الكلام الظاهر، أي معناه المباشر. وهذا مرادف للتفسير.

الثاني: التماس وجه الكلام الخفي، أو التعليل لما يظهر فيه من إشكال.

---

(١) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مادة (وجه)، ص١٠٨٤.

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم، ١٤١٤ه، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (٥٥٥/١٣).

(٣) أنظر: الجوهري، الصحاح ، مادة (وجه)؛ الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، مادة (وجه) ص٨٥٦؛ الفيروز آبادي، القاموس المحيط، باب الهاء فصل الواو[و ج هـ].

(٤) الجرجاني، علي بن محمد الزين الشريف، ١٤٠٣ه، التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، (٦٩/١).

(٥) ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي، ٢٠٠٤م، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (٣٠٢/١)

فالعلاقة بين التعريف اللُّغوي، والاصطلاحي: التماس وجهة الكلام ببيان معناه، وحيثية هذا المعنى دون غيره مع احتماله له.

ثانياً/ معنى لفظ المتشابه لغة واصطلاحاً:

المتشابه من مادة (شبه)، قال ابن فارس: "الشين والباء والهاء: أصل واحد يدل على تشابه الشيء وتشاكله لوناً ووصفاً، شبَه وشبه وشبيه، والشبه من الجواهر: الذي يشبه الذهب، والمشبهات من الأمور: المشكلات. وأشتبه الأمران: إذا أشكلا"[1]. وتدور هذه المادة في اللغة حول معنيين[2]:

الأول: التماثل، يقال أمور مشابهه أي مماثلة، والجمع أشباه، وأشبه الشيء الشيء ماثله، ومنه قوله تعالى: ((وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا)) [البقرة، الآية (٢٥)]، وتشابه الكلام تماثله وتناسبه بحيث يصدق بعضه بعضاً، وقد وصف الله تعالى القرآن بأنه متشابه لقوله تعالى: ((اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً)) [الزمر الآية (٢٣)].

الثاني: الالتباس يقال أُمورٌ مُشْتَبِهةٌ ومُشَبِّهَةٌ: مُشْكِلَة يُشْبِهُ بعضُها بعضًا، واشْتبهَ: الْأَمر عَلَيْهِ واخْتَلَط، والشُّبْهَةُ: هو ألا يتميّز أحد الشّيئين من الآخر لما بينهما من التّشابه، قال تعالى: ((إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا)) [البقرة، الآية (٧٠)]"[3]. وأكثر ما يستعمل في التماثل صيغة (تشابه)، وفي الالتباس صيغة: (اشتبه).

أما المتشابه في اصطلاح القرآن هو ما أشكل تفسيره لمشابهته بغيره، وهو أضرب ثلاثة:

أـــ متشابه من جهة اللفظ فقط.

ب ـــ متشابه من جهة المعني فقط.

ج ـــ متشابه من جهة المعني واللفظ معاً.

والذي يعنينا في هذا البحث المتشابه من جهة اللفظ.

وقد عرفه ابن جرير الطبري في تفسيره عند قوله تعالي: ((هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)) [آل عمران، الآية (٧)]

(1) ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني، ١٣٩٩ه، معجم مقايس اللغة، دار الفكر، ص٥٤٨.

(2) أنظر: ابن منظور، ٥٠٣/١٣.

(3) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص (٤٤٣).

بقوله: "المتشابه هو ما اشتبهت الألفاظ به من قصصهم عند التكرير في السور فقصة باتفاق الألفاظ واختلاف المعاني، وقصة باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني"[١].

قال الخطيب الاسكافي في مقدمة كتابه الدرة: هو "الآيات المتكررة بالكلمات المتفقة والمختلفة"[٢].

وعرَّفه محمود الكرماني بأنه: "الآيات المتشابهات التي تكررت في القرآن وألفاظها متفقة ولكن وقع في بعضها زيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير أو إبدال حرف مكان حرف أو غير ذلك مما يوجب اختلافا بين الآيتين أو الآيات التي تكررت من غير زيادة ولا نقصان"[٣].

وقال بدرالدين الزركشي: "وهو إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة"[٤]. ومعظم التعريفات التي وردت للمتشابه بعد ذلك جاءت متابعة لتعريف بدرالدين الزركشي؛ فقد عرّفه السيوطي في كتابه «الإتقان في علوم القرآن» تحت النوع الثالث والستين من أنواع علوم القرآن (الآيات المتشابهات)[٥]. وكذلك في كتابه «معترك الأقران»، عَنْوَنَ للوجه السادس من وجوه إعجاز القرآن، بعنوان: (مشتبهات آياته)[٦]. كذلك الحال عند أبي البقاء الكفوي في كتابه «الكليّات»[٧].

من خلال ما سبق من تعريف لكلمة توجيه وبيان لمعنى مصطلح المتشابه اللفظي نستنتج أن المراد بعلم توجيه المتشابه اللفظي هو: بيان المعاني الدقيقة فيما تشابه من لفظ في القرآن الكريم، ومدى ملائمته للتعبير عن المعنى المراد في الموضع الذي جاء فيه، بحيث يدفع ما يلتبس في الذهن من تكرار الألفاظ والمعاني.

---

(١) الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، (٥/ ١٩٧).

(٢) الاسكافي، أبو عبدالله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي، درة التنزيل وغرة التأويل، جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، (٢١٧/١).

(٣) الكرماني، أبو القاسم برهان الدين محمود بن حمزة بن نصر، البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، دار الفضيلة، ص (٦٣).

(٤) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر، البرهان في علوم القرآن، (١/ ١١٢).

(٥) أنظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، (٣/ ٣٩٠)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ.

(٦) أنظر: السيوطي، معترك الأقران، (١/ ٦٦)، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.

(٧) أنظر: أبو البقاء الكفوي، الكليات؛ معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، ص٨٥٤. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة.

وقيل المراد بتوجيه المتشابه اللفظي هو: "البحث في أسرار المتشابه اللفظي في القرآن، والوقوف على وجوه معانيه، في منازله المختلفة"[1].

الفرق بين التفسير وتوجيه المتشابه اللفظي:

التفسير مناط به بيان المعنى المراد من الآية، بينما توجيه المتشابه اللفظي للآيات القرآنية يتجاوز التفسير إلى التوغل في أسرار التأويل ونظم التراكيب وابداء خفايا المعاني.

المبحث الثاني/ أقسام المتشابه اللفظي في القرآن:

تنوع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتعدد، لذا اختلف العلماء في أقسامه وفقاً لتعريف كل منهم بين مجملٍ ومفصلٍ فمثلاً الإمام الكرماني قصر أقسام المتشابه اللفظي في ثلاثة أقسام، بينما نجد الإمام الزركشي أوصلها إلى ثمانية أقسام في كتابه البرهان في علوم القرآن، ومنهم من أوصلها إلى عشرة.

لكن ممكن أن تدمج هذه الأقسام في ستةٍ على النحو التالي:

١ – التعريف والتنكير:

والمراد به ورد اللفظ في آية معرفاً وفي آية أخرى يرد نكرة، ومن أمثلته: قوله تعالى: {رب اجعل هذا بلدا آمنا} [البقرة، الآية (١٢٦)]. جاءت كلمة "بلد" نكرة، ووردت معرفة "البلد" في قوله تعالي: {رب اجعل هذا البلد آمنا} [إبراهيم، الآية (٣٥)]. ومن هذا القبيل قوله تعالى: {ويقتلون النبيين بغير الحق} [البقرة، الآية (٦١)]. وردت لفظة "الحق" معرفه بأل التعريف، وجاءت نكرة "حق" في قوله تعالى: {ويقتلون النبيين بغير حق}[آل عمران، (٢١)].

٢ – التقديم والتأخير:

والمراد به تقديم الكلمة أو الجملة في سياق الآية، وتأخيرها في آية أخرى، وهو على أنواع:

أ- تقديم كلمة وتأخيرها: ومن أمثلته تقديم كلمة "رجل" في قوله تعالى: {وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى} [القصص، الآية (٢٠)]، وتأخيرها في قوله تعالى: {وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى} [يسن، الآية (٢٠)]. ومن أمثلته أيضاً تقديم كلمة "الناس"

---

(1) الجبالي، محمد رجائي، توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين أحمد الغرناطي وفاضل السامرائي، دراسة مقارنة، رسالة دكتوراه، جامعة مالايا، كوالالمبور، (٤٨/١)

في قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا} [الاسراء، الآية (٨٩)]. وتأخيرها في قوله تعالى: {وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا} [الكهف، الآية (٥٤)].

ب –تقديم جملة وتأخيرها: من أمثلته تقديم " لا إله إلا هو" في قوله تعالى: { ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ } [الأنعام، الآية (١٠٢)]، وتأخيرها في قوله تعالى: {ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ} [غافر، الآية (٦٢)].

ج –الاختلاف في ترتيب المتعاطفات: من أمثلته قوله تعالى: {يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وصاحبته وأخيه وفصيلته التي تؤويه} [المعارج، الآيتان (١١ــ١٣)]، وقوله تعالى: { يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ}[عبس، الآيتان (٣٤ــ٣٦)].

د – تقديم الضمير وتأخيره: ومن أمثلته تقديم الضمير "به" في قوله تعالى: { إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ}[البقرة، الآية (١٧٣)]، وتأخيره في قوله تعالى: { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ} [(المائدة، (٣)].

٣– الإفراد والجمع:

المراد به ورود الكلمة مفردة في موضع وورودها جمع في موضع أخر. ومن أمثلته كلمة "صلاتهم" وردت مفردة في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يحافظون} [الأنعام، الآية (٩٢)]، وجاءت جمع في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ} [المؤمنون، الآية (٩)]. ومن هذا القبيل أيضاً كلمة "معدودة" جاءت مفردة في قوله تعالى: {وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً} [البقرة، الآية (٨٠)]، ووردت جمع في قوله تعالى: {ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ} [آل عمران، الآية (٢٤)].

٤ــ الذكر والحذف:

والمقصود به إثبات حرف أو كلمة أو أكثر في آية وحذفها في آية أخري. وهو أنواع:

أ–إثبات حرف وحذفه، مثاله اثبات حرف "أن" في قوله تعالى: {وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا} [العنكبوت، الآية (٣٣)]. وحذفه في قوله تعالى: {لَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا} [هود، (٧٧)].

ب –إثبات كلمة وحذفها، ومن أمثلة ذلك اثبات كلمة "كله" في قوله تعالي: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّه} [الأنفال، الآية (٣٩)]، وحذفها في قوله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّه} [البقرة، الآية (١٩٣)]،

ج–إثبات أكثر من كلمة وحذفها، ومثاله اثبات جملة "وما بينهما يخلق ما يشاء" في قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [المائدة، رقم الآية (١٧)]. {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [آل عمران ،(١٨٩)].

٥ــ الإبدال:

المراد به إقامة حرف مقام حرف آخر في الكلمة. وهو أنواع:

أ–إبدال حرف بآخر: ومن أمثلته قوله تعالى: {كل يجري لأجل مسمى} [الرعد، الآية (٢)]، وأبدل حرف "اللام" بحرف "إلى" في قوله تعالى: {كل يجري إلى أجل مسمى} [لقمان، (٢٩)]

ب –إبدال كلمة بكلمة: مثاله قوله تعالى: { قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} [البقرة، (٧٠)]، أبدلت كلمة "ألفينا" بكلمة "وجدنا" في قوله تعالى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا} [لقمان، الآية (٢١)].

ج–إبدال جملة بجملة: ومن أمثلته قوله تعالى: {وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} [إبراهيم، الآية (٣٤)]، جملة "إن الإنسان لظلوم كفار" أبدلت في قوله تعالى: {وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النحل، الآية (١٨)].

٦ــ المتشابه بالتذكير والتأنيث:

ومن أمثلته قوله تعالى: {وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [هود، الآية (٦٧)]، بتذكير "أخذ" وتأنيثها في قوله تعالى: {وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ} [هود، الآية (٩٤)].

المبحث الثالث/ نشأت علم المتشابه اللفظي ومراحل تطوره:

مر علم المتشابه اللفظي بعدة مراحل كغيره من العلوم الأخرى، حتى ظهر واتضحت ملامحه، وبان الفرق بينه وبين غيره من علوم القرآن الكريم.

يمكن نلخص المراحل التي مر بها هذا العلم في الآتي:

المرحلة الأولى: هي مرحلة الظهور الأول لهذا العلم ويمكن إرجاعها إلى عصر النبوة حيث رويت بعض الأحاديث والآثار عن النبي ﷺ وأصحابه اعتبرت إشارات لبداية هذا العلم، من أمثلة ذلك: حديث القاسم بن عبدالرحمن عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: " اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب في ثلاث سور من القرآن في البقرة وآل عمران وطه"، قال القاسم: طلبت هذا الاسم فوجدته في آية الكرسي: ((الْحَيُّ الْقَيُّومُ)) [البقرة، الآية (٢٥٥)]، وفي فاتحة آل عمران: ((الْحَيُّ الْقَيُّومُ)) [آل عمران، الآية(٢)] وفي طه: ((وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ)) [الآية (١١١)] "[١].

المرحلة الثانية: مرحلة الجمع والتدوين وقد اتخذ طريقتين:

الطريقة الأولى: التدوين الغير موجه، أي انها عبارة عن جمع لآيات المتشابهة في اللفظ بدون توجيه ولا ذكر العلة، وذلك إعانةً للحُفّاظ على تذكُّر الفروق بين الآيات المتشابهات وأول من صنف في هذا الفن أبو الحسن على بن حمزة الكسائي (المتوفى: ١٨٩هـ)، الإمام اللغوي المعروف وأحد القراء السبعة في كتابه: (مشتبهات القرآن)، قال السيوطي: "أفرده بالتصنيف خلقٌ، أوّلهم فيما أحسب الكسائي..."[٢] ومن المؤلفات التي نهجت نفس الطريقة كتاب: (متشابه القرآن العظيم) لأبي الحسين أحمد بن صبيح المعروف بابن المنادى (المتوفى: ٣٣٦هـ)، وقام بتأليفه لغرضين؛ الأول: إعانة الحفاظ على حفظ متشابه القرآن. والثاني: هو إعانة لمَن يريد أن يردّ على الملحدين الذين يطعنون في القرآن بحجّة ورود التكرار والمتشابه اللفظي [٣] ومن ذلك أيضاً كتاب: (حل الآيات المتشابهة) لمحمد بن الحسن بن فورك (المتوفى: ٤٠٦هـ)، ومن أبرز المؤلفات المعاصرة التي اهتمت بهذا الجانب وتميزت بالترتيب والعرض لآيات المتشابه اللفظي؛ مؤلف محمد المسند

---

(١) اخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم، (٢٥/٥)، حديث رقم (٣٨٥٦). وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزياداته، (٢٢٨/١)، حديث رقم (٩٧٩).

(٢) الاتقان في علوم القرآن ٣٩٠/٣

(٣) ابن المنادى، متشابه القرآن العظيم، ص١٦.

الموسوم بـــــــ: (تنبيه الحفّاظ للآيات المتشابهة الألفاظ)، والكتاب الآخر: (دليل المتشابهات اللفظية في القرآن الكريم) لمحمد عبد الله الصغير، استقصى فيه المؤلف جُلَّ ما في القرآن الكريم من آيات متشابهات. وغيرهما من المؤلفات المعاصرة.

الطريقة الثانية: نظمت المتشابه اللفظي في قصائد شعرية تسهل على القراء وحفظة القرآن استذكاره. وأول ما أُلف في هذا الشأن منظومة علم الدين أبو الحسن على بن محمد السخاوي (المتوفى: ٦٤٣هـــ) الموسومة بـــــ: (هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب) بلغ عدد أبياتها (٤٤٧) بيتاً، ولقد اعتنى أهل العلم بتحقيقها وشرحها. قال السيوطي: "أفرده بالتصنيف خلقٌ...ونظمه السخاوي"[١]

وهناك منظومات أخرى يسيرة للمعاصرين مثل: (هداية الصبيان لفهم مشكل القرآن) للشيخ على بن أحمد الميهي، ومن ذلك منظومة (الكنز الفريد في متشابه القرآن المجيد) لمحمود نسيرة وغيرهم من المنظومات الكثيرة في هذا الفن.

المرحلة الثالثة: مرحلة التدوين الموجه، أي توجيه المتشابه اللفظي، وذكر علله وأسراره (وهي التي تعنينا في هذا البحث)، وبرزت في هذه المرحلة خمسة من المؤلفات وهي: "درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز" وكتاب: "البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان"، و"ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل"، و "كشف المعاني في المتشابه من المثاني"، وكتاب: "فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن". (سيأتي الحديث عنها بالتفصيل في المبحث الخامس).

المرحلة الرابعة: مرحلة الانفتاح والتوسع في التصنيف في توجيه المتشابه اللفظي، وهذه المرحلة تجاوزت المراحل السابقة، وتعددت فيها اتجاهات التأليف في توجيه المتشابه اللفظي، مثل: الاتجاه الوصفي الذي يصف ويحلل منهج علم من الاعلام صنف في توجيه المتشابه اللفظي، مثل: "دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل"، و "منهج زكريا الأنصاري في كتابه الموسوم: (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن)"، والاتجاه التعقبي والاستدراكي، يتعقب فيه الباحث ويستدرك على أحد المصنفات في توجيه المتشابه اللفظي، مثل: "استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات"، والاتجاه المقارن الذي يقارن فيه الباحث بين بين مصنفين

---

(١) الاتقان ٣/٣٩٠

في توجيه المتشابه اللفظي، وغيرها من الاتجاهات سيأتي تفصيلها في المبحث الخامس. وهذه المرحلة مستمرة إلى يومنا هذا.

المبحث الرابع/ أهمية علم توجيه المتشابه اللفظي في القرآن وفوائده:

تكمن أهمية علم توجيه المتشابه اللفظي في القرآن في أنه:

١ـــ يبحث في أسرار التشابه بين الآيات، والكشف عن النكات البلاغية

٢ـــ يعين على تدبر وفهم آيات القرآن.

٣ـــ يساعد على ضبط وإتقان حفظ القرآن الكريم.

٤ـــ ضَرْبٌ من التفسير لكلام الله، فهو بهذا يكتسب أهميته، كما يكتسب علم التفسير أهميته.

٥ـــ يُظهر إعجاز القرآن الكريم ببلاغته النافذة، وأسلوبه البديع؛ ذلك أن وجود المتشابه اللفظي، مع عدم قدرة العرب على الإتيان بمثله دليل على عجزهم.

٦ـــ بيان الحكمة من التكرار والتشابه.

٧ـــ يرد على أهل الزيغ والضلال زعمهم أن المتشابه ما هو إلا تكرار يغني بعضه عن بعض؛ وذلك بإظهار عظمة القرآن الكريم، وبلاغته في متشابهه.

المبحث الخامس/ اتجاهات التصنيف في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن:

برزت اتجاهات عديدة للتأليف في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن سواء كان من العلماء السابقين أو المعاصرين وأبرز هذه الاتجاهات تتمثل في الآتي:

(١) اتجاه توجيه آيات المتشابه اللفظي في القرآن دون الجمع:

وظهر هذا الاتجاه في بعض كتب التفسير التي تناولت آيات المتشابه اللفظي بالتوجيه والتحليل في سياق حديثها عن بلاغة النظم القرآني خاصة فيما يتعلق بعلم المعاني مثل التقديم والتأخير، والذِّكر والحذف، الافراد والجمع، والتعريف والتنكير، ...

لم يهتم المتقدمين من المفسرين بتوجيه المتشابه اللفظي في القرآن وبيان علة اختلاف الألفاظ وذلك لعدم الحاجة إلى مثل هذا النوع من مباحث التفسير في زمانها لأنه لم ينضج إلا عندما صُنِّفت الكتب في الرد على الطاعنين في القرآن وتآلف نظمه ولأن هذا الضرب من التفسير لم يرد فيما أُثر من الأحاديث والآثار وغيرها من كلام السلف في التفسير، فقلَّت عنايتهم به لذلك، وكانت كتب التفسير بالمأثور خالية من هذا النوع.

ثم اتجه فريق من المفسرين إلى العناية به، وهم في ذلك بين مُقلٍّ ومُكْثِرٍ، ومُنْصِفٍ ومُتَكَلِّف. ومن أهم التفاسير التي تعرضت لبيان المتشابه وتوجيهه:

• الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبى القاسم جار الله محمود الزمخشري (المتوفي: ٥٣٨هـ)، فقد تعرّض لتوجيه بعض الآيات المتشابهات وبين أسرار النّظم القرآني، وهو من المكثرين في هذا الشأن. ويعد عمدة في هذا الباب، وقد أفاد منه الكثير من الباحثين الذين اعتنوا بالتفسير البياني.

• المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، لم يكن من المكثرين في هذا الباب.

• زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ).

• مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تعرض الإمام الرازي لتوجيه آيات المتشابه اللفظي وتوسع فيها، وأطال الوقوف عندها، كما أفاد منه المفسرون بعده.

• الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (المتوفى:٦٧١ه) يوجه بعض آيات المتشابه اللفظي أحياناً.

• أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي (المتوفى: ٦٨٥هـ) من الكتب الجيدة في هذا الباب.

• لباب التأويل في معاني التنزيل، لأبي الحسن علاء الدين علي بن محمد الشيحي، المعروف بالخازن (المتوفي: ٧٤١هـ)، تناول بعض آيات المتشابه بالتوجيه.

• البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ). بالرغم من تأخُّر أبي حيان إلا أن المواطن التي وقف عندها كانت أقلّ مما جاء عند الرازي.

• الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، لأبي العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف، المعروف بالسمين الحلبي (المتوفي ٧٥٦ه). تعرض للآيات المتشابهة بالتوجيه.

• بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، حوى الكتاب مباحث كثيرة تتعلق بالقرآن

وعلومه، فيعرض في كل سورة لأنواع من علوم القرآن وفنونه كالناسخ والمنسوخ، والوقف والابتداء، وعدد الآيات وذكر المتشابه وتوجيهه، والتكرار وحكمته.

• غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري (المتوفى: ٨٥٠هـ).

• نظم الدّرر في تناسب الآيات والسور، لبرهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (المتوفي: ٨٨٥هـ)، تأثر الإمام البقاعي بابن الزبير الغرناطي، سواء من كتابه البرهان في تناسب سور القرآن، أو مِلاك التأويل في المتشابه اللفظ من التنزيل، وظهر هذا التأثر حتى في منهجه وطريقته في توجيه الآيات المتشابهة.

• الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، (المعروف بحاشية الجمل)، للشيخ سليمان بن عمر العجيلي، المشهور بالجمل (المتوفي: ١٢٠٤ه)، والكتاب حاشية على تفسير الجلالين، إلا أنه شرحه شرحاً مطولاً تطرق فيه لتوجيه بعض المتشابه من الألفاظ.

• إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لمحمد بن محمد بن أبي السعود العمادي (المتوفي: ٩٨٢هـ). من التفاسير التي عنيت بكشف أسرار البلاغة القرآنية بما لم يسبقه أحد اليه، ذكر أبو السعود في مقدمة تفسيره أنه بعد ما قرأ الكشاف للزمخشري وأنوار التنزيل لمؤلفه عبد الله بن عمر البيضاوي رأى أن يؤلف تفسيرًا يجمع فيه فوائد هذين التفسيرين ويضيف إليه ما تحصل عليه من فوائد من التفاسير الأخرى، فألّف هذا التفسير الذي جلى فيه بلاغة القرآن وإعجازه وأبرزها في أحسن صورة، يضاف إلى ذلك ذكره للفوائد الدقيقة والحكم البديعة التي دلت عليها الآية والنكت البلاغية النادرة.

• روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي الثناء شهاب الدين الآلوسي (المتوفي: ١٢٧٠هـ). وهو من أغزر التفاسير مادة في توجيه المتشابه اللفظي، جمع فيه مؤلفه خلاصة ما سبقه من التفاسير. فتراه ينقل لك عن تفسير ابن عطية، وتفسير أبي حيان، وتفسير الكشاف، وتفسير أبي السعود، وتفسير البيضاوي، وتفسير الفخر الرازي وغيرها من كتب التفاسير المعتبرة.

• تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المعروف بالتحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور (المتوفي: ١٣٩٣هـ)، يعد من أبرز

تفاسير العصر الحديث التي كُتبتْ على وَفْقِ نظرية النظم عند الجرجاني، تميز بالاهتمام بالجوانب البلاغية للقرآن، وأبدع في توجيه المتشابه اللفظي.

(٢) اتجاه الجمع والتوجيه:

اختص هذا الاتجاه بالمؤلفات التي افردت آيات المتشابه اللفظي بالتوجيه والتعليل ويمثل هذا الاتجاه مرحلة النضوج لآيات المتشابه اللفظي.

وبرز في هذا الفن من المتقدمين خمسة من العلماء الذين يرجع لهم الفضل في ابراز قيمته بالنسبة لعلم التفسير وعلوم القرآن، ووضعوا اسسه وقعدوا قواعده، وهم:

الخطيب الإسكافي، وكتابه: (درة التنزيل وغرة التأويل):

أبو عبدالله محمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي، اديب، كاتب، شاعر، لغوي، وكان معاصراً للصاحب بن عباد ومن أصحابه. وولي الخطابة بالري، فعرف بالخطيب، ولقب بالإسكافي نسبة إلى الحرفة التي كان يمارسها وهي الأسكفة، توفي سنة (٤٢٠هـ)، من مؤلفاته: (مبادئ اللغة)، وصاحب كتاب (درة التنزيل وغرة التأويل)، من أوائل المؤلفين الذين ألفوا في توجيه الآيات المتشابهة لفظاً في القرآن الكريم، وكل من جاء بعد فهم عيال عليه[١].

يقول الاسكافي رحمه الله في مقدمة الكتاب: " تأملت أكثر كتب المتقدمين والمتأخرين، وفتشت على أسرارها معاني المتأولين المحققين المتبحرين، فما وجدت أحدا من أهلها بلغ غاية كنهها، كيف؟ ولم يقرع بابها، ولم يفتر لهم عن نابلها، ولم يفسر عن وجهها"[٢].

أبو القاسم الكرماني، وكتابه: (البرهان في توجيه متشابه القرآن):

محمود بن حمزة بن نصر، المعروف بتاج القراء، صاحب كتاب (أسرار التكرار في القرآن) المسمى بـ: (البرهان في توجيه متشابه القرآن)، ذكر فيه: الآيات المتشابهات، التي تكررت فيه، وسببها، وفائدتها، وحكمتها، ومن مؤلفاته ايضاً: لباب التفاسير.[٣]

---

(١) انظر: ترجمته في: ياقوت الحموي، معجم الأدباء، (٦/ ٢٥٤٩)، صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، (٣/ ٢٧١)؛ السيوطي، بغية الوعاة، (١/ ١٤٩).

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل، (١/١٣٧).

(٣) انظر ترجمته في: معجم الادباء، (٦/٢٦٨٦)؛ ابن الجزري، غاية النهاية في طبقات القراء (٢/٢٩١)؛ وبغية الوعاة، (٢/٢٧٧)؛ الداوودي، طبقات المفسرين، (٢/٣١٢).

يقول رحمه الله في كتابه ذاكراً سبب تأليفه لهذا الكتاب: "إن الأئمة رحمهم الله تعالى قد شرعوا في تصنيفه واقتصروا على ذكر الآية ونظيرتها ولم يتشغلوا بذكر وجوهها وعللها والفرق بين الآية ومثلها وهو المشكل الذي لا يقوم بأعبائه إلا من وفقه الله لأدائه"[١].

اقتصر الكرماني في كتابه على ذكر الآيات المتشابهات التي يشبه بعضها بعضاً في اللفظ والتركيب، وتختلف عن بعضها في زيادة ونقصان، وذكر وحذف وتقديم وتأخير وإبدال حرف مكان حرف، أو غير ذلك مما يُوجِبُ اختلافًا بين الآيتين. ولقد تأثر بالإسكافي وسار على منهجه في التوجيه، وكان مختصراً لجل ما ورد في الدرة[٢].

أحمد بن الزبير الغرناطي، وكتابه: (ملاك التأويل في المتشابه اللفظ من التنزيل):

هو أحمد بن إبراهيم بن الزّبير الأندلسي، الحافظ النحوي، ولد سنة سبع وعشرين وستمائة (٦٢٧هـ)، في جيان وأقام بمالقة فحدثت له فيها شؤون ومنغصات، فغادرها إلى غرناطة فطاب بها عيشه توفي سنة (٧٠٨هـ).

وله تصانيف كثيره في فنون عدة، منها: "التعليق على كتاب سيبويه"، "البرهان في ترتيب سور القرآن"، "سبيل الرشاد في فضل الجهاد"، "ملاك التأويل في المتشابه اللفظ من التنزيل"، وهو من أشهر مؤلفات ابن الزبير رحمه الله، حيث اقتدى بكتاب درة التنزيل للإسكافي وهذا ما ذكره بنفسه في مقدمة كتابه بقوله" ورد علي كتاب لبعض المعتنين من جلة المشارقة، نفعه الله سماه بكتاب درة التنزيل وغرة التأويل، قرع به مغلق هذا الباب وأتى في هذا المقصد بصفو من التوجيهات لباب، وعرف أنه باب يوجف عنه أحد قبله بخيل ولا ركاب، ولا نطق ناطق قبل فيه، بحرف مما فيه، وصدق رحمه الله وأحسن فيما سلك وسن وحق لنا به – لإحسانه – أن نقتدى به ونستن"[٣].

توسع ابن الزبير رحمه الله في المسائل وزاد عليها يقول: " معتمداً عين ما ذكره من الآيات ومستدركاً ما تذكرته مما أغفله رحمه الله من أمثالها من المتشابهات"[٤].

---

(١) البرهان في توجيه متشابه القرآن، ص (٦٤).

(٢) الصامل، محمد، ١٤٢٦ه، من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ص (٢١).

(٣) الغرناطي، أحمد بن إبراهيم بن الزبير، ١٤٠٣ه، ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آى التنزيل، ص(١٤٧).

(٤) المصدر السابق.

بدر الدين بن جماعة الكناني، وكتابه: (كشف المعاني في المتشابه من المثاني):

أبوعبد الله بدر الدين محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني الحموي، ولد بحماة سنة (٦٣٩هـ). انقطع في منزله قريباً من ست سنين إلى أن مات في جمادى الآخرة سنة (٧٣٣هـ)، ودفن بالقرافة بالقرب من الشافعي[١].

كان رحمه الله واسع العلم، له مصنفات كثيره وانتاجه في كافة العلوم والمجالات، فألف **في التفسير وعلومه وألف في الحديث، وله في مؤلفات في علم الكلام والنحو والسياسة الشرعية والفلك.**

من مؤلفاته: المنهل الروي في علوم الحديث النبوي، الفوائد اللائحة من سورة الفاتحة، العمدة في الاحكام، إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، من أشهر مؤلفاته رحمه الله، وقد أوضح سبب تأليفه ؛وذلك جاء بناء على ما ورده من أسئلة في دروسه التي عقدها عن سبب الاختلاف بين تلك الآيات ، كما أوضح أن كثيرا منها لم يذكر في كتب التفسير، فجاء هذا الكتاب ليوضح ما خفي من ذلك، فأزال الابهام وبدد الأوهام قال رحمه الله في مقدمة كتابه: "فلما من الله بحفظ القرآن العزيز وتحصيله، والوقوف على ما قدر من تفسيره وتأويله، واتفق القاء دروس التفسير في المدارس، وما يظهر في بحوثها من النفائس، وربما لهج بعض فضلاء الحاضرين بمسائل حسنة غريبه، وسأل عن مناسبات ألفاظها لمعانيها العجيبة، مما لم يذكر بعضه أو أكثره في كتب التفسير المشهورة ،ولا ألمت به في اسفارها المسطورة، من اختلاف الفاظ معان مكرره، وتنويع عبارات فنونه المحررة، ومن تقديم وتأخير، وزيادات ونقصان، وبديع وبيان ،وبسط واختصار، وتعويض حروف بحروف اغيار، فتحل تلك الأسئلة بما يفتح الله به، إما منقول، أو غير منقول، وقد استخرت الله تعالى في ذكر أجوبه ما على الخاطر منه باختصار لا غنى لفهمه منه، وسميته: كشف المعاني في المتشابه من المثاني"[٢].

زكريا الأنصاري، وكتابه: (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن):

أبو يحي زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، وتعلم في القاهرة وكف بصره سنة (٩٢٦هـ)، نشأ فقيرا معدما، وله تصانيف كثيره منها: شرح الروض، وشرح

---

(١) أنظر ترجمته في: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٧/٥)؛ شذرات الذهب (٨/ ١٨٤)، وطبقات الشافعية الكبرى، (٩/ ١٤٠).

(٢) ابن جماعة، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني، ١٤١٠ه، كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ص (١٠٦-١٠٧).

البهجة، واشهرها (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن)[1]. وقد ذكر رحمه الله سبب تأليفه الكتاب فقال: "...وبعد هذا فهذا مختصر في ذكر آيات القرآن المتشابهات، المختلفة بزيادة، أو تقديم، أو تبديل حرف بآخر، أو غير ذلك، مع بيان سبب تكراره، وفي ذكر أنموذج من أسئلة القرآن العزيز وأجوبتها صريحا أو إشارة، جمعته من كلام العلماء المحققين، ما فتح الله به من فيض فضله المتين، وسميته: (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن)"[2]. ويعد كتابه تلخيص لما كتبه الكرماني.

(٣) الاتجاه الوصفي التحليلي:

هذا الاتجاه في التأليف يتناول مناهج المصنفين في توجيه المتشابه اللفظي بالوصف والتحليل والنقد، ومن أمثلة تلك الدراسات:

• "منهج زكريا الأنصاري في كتابه الموسوم: (فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن)" للباحث عبدالعزيز بن صالح الكاموخ، رسالة ماجستير، جامعة الملك فيصل ١٤٣٨هـ.

• "دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل"،

• المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه؛ دراسة موضوعية، للباحث محمد بن راشد البركة. والدراسة قـيّمة تناول فيها الباحث عددًا من الموضوعات تكلّم عنها بالتفصيل، من أبرز فصول الرسالة: قواعد توجيه المتشابه. والعمل جدير بالقراءة.

• المتشابه اللفظي في القرآن ومسالك توجيهه عند أبي جعفر الزبير الغرناطي، للدكتور رشيد الحمداوي، بيّن فيه المؤلف منهج الغرناطي بجلاء، وتميّزه عن غيره؛ بأنّ نظرته كانت أكثر شمولية لمساق الآيات المتشابهة، واستجلاء مقاصدها، واستنباط أوجه الارتباط والالتحام بين الآيات المتشابهة ومساقها، حتى إنه أحيانًا يلجأ إلى السياقات البعيدة في السورة. كما أبرزت الدراسة دور التناسب في منهج الغرناطي بين النظم والشدة، والإيجاز والإطناب، والتناسب اللفظي والصوتي، وترتيب السور. والدراسة قـيّمة جديرة بالقراءة.

• البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني؛ موضوعه، ومنهجه، ومعالم إبداعه، للدكتور مونعيم مزغاب. نشره مركز تفسير للدراسات القرآنية.

---

(١) انظر ترجمته في: الغزي، نجم الدين، الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة (١/ ١٩٨)؛ الزركلي، الأعلام، ص(٣/ ٤٦)،

(٢) زكريا الأنصاري، أبو يحيى زكريا بن محمد الأنصاري، ١٤٠٣هـ، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ص(٦).

• "متشابه اللفظ القرآني في تفسير مفاتيح الغيب للفخر الرازي"؛ دراسة بلاغية مقارنة، للدكتور محمد بن علي بن درع، جمع مواطن المتشابه عند الرازي، وكشفت الدراسة عن تأثّر الرازي بتوجيهات الخطيب الإسكافي والزمخشري.

• "بلاغة المتشابه اللفظي في تفسير البحر المحيط لأبي حيان"، للدكتورة مريم بنت عبد الله القرشي. وظهر تأثّر أبي حيان في المتشابه اللفظي جليًّا بمن سبقه؛ الخطيب الإسكافي، والزمخشري، والرازي.

• "بلاغة المتشابه اللفظي في تفسير أبي السعود"، للباحثة خلود بنت نياف العتيبي.

• "متشابه اللفظ القرآني في روح المعاني للآلوسي"؛ دراسة بلاغية.

• "توجيه الطاهر بن عاشور للمتشابه اللفظي في التحرير والتنوير"؛ دراسة تحليلية مقارنة، للباحثة: خلدون بن سعود القرالة.

(٤) الاتجاه المقارن:

اختصت الدراسات في هذا الاتجاه بالمقارنة بين اثنين أو أكثر من المصنفات التي أُلفت في توجيه المتشابه اللفظي، ومن الأمثلة على ذلك:

• "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي"، لبيب محمد جيران صالح

• "توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم عند ابن الزبير الغرناطي، وابن جماعة الدمشقي" دراسة تأصيلية مقارنة من سورة الفاتحة إلى سورة البقرة، للباحثة: مريم بنت عبدالله الجغيمان

• "توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم عند ابن الزبير الغرناطي، وابن جماعة الدمشقي" دراسة تأصيلية مقارنة من سورة آل عمران إلى سورة الانعام، للباحثة: بنان بنت عبدالعزيز العصفور.

• "توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم عند ابن الزبير الغرناطي، وابن جماعة الدمشقي" دراسة تأصيلية مقارنة من سورة الأعراف إلى سورة يسن، للباحثة: رفعة بنت مسفر القحطاني

توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدَثين؛ دارسة مقارنة، للدكتور محمد رجائي أحمد الجبالي. وقد بذل فيها الدكتور جهدًا طيبًا. "توجيه المتشابه

اللفظي في القرآن الكريم عند ابن الزبير الغرناطي، وابن جماعة الدمشقي" دراسة تأصيلية مقارنة من سورة الدخان إلى سورة الناس، للباحثة: ريم بنت سكران الرويلي.

• "توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدَثين"؛ دراسة مقارنة، للدكتور محمد رجائي أحمد الجبالي. وقد بذل فيها الدكتور جهدًا طيبًا.

(٥) الاتجاه التخصصي:

هذا الاتجاه في التأليف يتناول بالدراسة توجيه المتشابه اللفظي للآيات التي تحدثت عن موضوع معين أو ركزت في جانب محدد، مثل سورة من سور القرآن، أو قصة من القصص، أو نوع من أنواع المتشابه اللفظي،... ومن أمثلة ذلك:

(أ) دراسة المتشابه اللفظي في السور القرآنية:

ومن الدراسات في هذا الشأن:

• "المتشابه النظمي في سورة البقرة"، للباحثة: حصة الرميح.

• "بلاغة التشابه اللفظي في سورة آل عمران"، للباحثة: منى بنت فهد أحمد، درست فيها ثلاثين آية بين متشابه النظم في سورة آل عمران، وسورة آل عمران وما تشابه فيها مع غيرها.

• "المتشابه اللفظي في سورة الأنعام"، دراسة بلاغية، للباحثة: هند بنت جميل بن صالح، درست فيه الباحثة أربعًا وأربعين آية، ما تشابه في السورة نفسها، ومع غيرها من السور.

• "بلاغة المتشابه اللفظي في سورة التوبة"، للباحثة: ريم بنت زيد القحيز. ذكرت فيها المتشابه في السورة نفسها، وما تشابه فيها مع غيرها.

(ب) دراسة المتشابه اللفظي من خلال القصص القرآني:

ومن الدراسات في هذا الشأن:

• "دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام"؛ دراسة نظرية تطبيقية، للباحث: فهد بن شتيوي الشتوي.

• "قطوف من المتشابه اللفظي في قصة سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام"، للباحث: زكريا بن علي الخضر.

• "متشابه النظم القرآني في قصة آدم عليه السلام"، للباحث: عبد الجواد محمد محمد طبق.

(ج) دراسة المتشابه اللفظي من خلال أبواب علم المعاني:

هذا الاتجاه من الدراسة يركز على ابراز المتشابه اللفظي من خلال باب من أبواب علم المعاني كالتذكير والتأنيث، والتقديم والتأخير،... ومن أمثلة ذلك:

• "التقديم والتأخير في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم"؛ دراسة نحوية دلالية، للباحث: بريكان بن سعد الشلوي.

• "الحذف والذِّكر في المتشابه اللفظي في القرآن الكريم"؛ دراسة استقرائية تطبيقية، للباحث: منصور محمود حسن أبو زينة.

• "التعريف والتنكير في بعض مواضع المتشابه اللفظي في القرآن الكريم"؛ دراسة نحوية دلالية، للباحث: عبد الله بن محمد السليماني.

• "الفصل والوصل في متشابه النظم القرآني؛ دراسة بلاغية تفسيرية"، للباحثين: محمد الحوري، ومنصور أبو زينة.

(٦) الاتجاه العمومي:

يتناول هذا الاتجاه دراسة المتشابه اللفظي في القرآن بشكل عام، ومن أمثلة تلك الدراسات:

• "لمسات بيانية في نصوص من التنزيل" الدكتور فاضل صالح السامرائي، للأستاذ السامرائي جهود مشكورة في إفهام إعجاز القرآن البياني، وتذوق أسراره البلاغية على هدي التتبع الدقيق لتعبيره. وظهر ذلك في مؤلفاته العديدة في هذا الشأن، منها: "بلاغة الكلمة في التعبير القرآني"،

"اسرار البيان في التعبير القرآني"، و"أسئلة بيانية في القرآن الكريم".

• "المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية"، للباحث: صالح بن عبد الله الشثري، تناول فيه المؤلف الكتب الخمسة المؤسّسة لموضوع المتشابه اللفظي، فعرّف بها وبمؤلفيها، ثم عمد إلى آيات المتشابه اللفظي الواردة في الكتب الخمسة، فتناول منها مائة وثلاثة وثمانين موضعًا من أصل ثلاثمائة وثمانين موضعًا، جاعلًا تقسيم الآيات بناءً على علم المعاني؛ تقديمًا وتأخيرًا، وذكرًا أو حذفًا، وتذكيرًا أو تأنيثًا، وتعريفًا أو تنكيرًا، وإفرادًا أو تثنيةً أو جمعًا، وإبدالًا بحرف أو كلمة. وتُعَدّ هذه من الدراسات القيّمة في المتشابه اللفظي.

• "من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم"، للباحث: محمد الصامل.

• مؤلفات الدكتور فاضل السامرائي، فجاءت مسائل هذا العلم مبثوثة في كتبه، من أهمها في هذا الشأن: (التعبير القرآني)، و(بلاغة الكلمة في التعبير القرآني)، و(وأسئلة بيانية في القرآن الكريم)، ثم بعد ذلك كتاب: (لمسات بيانية في نصوص من التنزيل)، وكتابه الشهير المعروف: (معاني النحو). والحقّ أن الدكتور صاحب نظرات عميقة في تحليلاته وتوجيهاته يجدر الوقوف عندها وتأملها.

(٧) الاتجاه التعقبي والاستدراكي:

في هذا الاتجاه من التصنيف يتعقب الباحث ويستدرك على أحد المصنفات في توجيه المتشابه اللفظي، ومن أمثل ذلك:

• "استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات"، للباحث سعد عبدالعظيم، تجاوز فيه المؤلّف كتب المتشابه بقصد ذكر الآيات التي لم ترد عند علماء المتشابه اللفظي، وأبرز أسرارها البلاغية.

المبحث السادس/ مصادر العلماء في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن وطرق التوجيه التي أعتمد عليها العلماء في إيضاح العلة في الآيات المتشابهة:

أولاً/ مصادر العلماء في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن:

اعتمد العلماء في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم على مصادر عديدة منها:

١ــ القرآن الكريم وعلومه: تفسير الآيات ببعضها مما يظهر مدلول الآية ويوضحها، النظر في سياقات السور والآيات والاستفادة من ترتيب القرآن بأنواعه كالمكي والمدني وأسباب النزول.

٢ــ الحديث الشريف والأثر.

٣ــ علم القراءات: كشف بعض جوانب الاختلاف بين الآيات المتشابهة على ضوء اختلاف القراءات في الآية.

٤ــ أقوال المفسرين: الاعتماد على أقوال المفسرين من الصحابة والتابعين، أمثال ابن عباس وقتادة والحسن والسدي....

٥ــ آراء النحويين واللغويين: الاستفادة من اللغة في توجيه اختلاف الألفاظ القرآنية، والاعتماد على النحو في توجيهه الآيات المتشابهة.

٦ــ علم المناسبات:

٧ــ علم اعجاز القرآن

ثانياً/ طرق التوجيه التي أعتمد عليها العلماء في إيضاح العلة في الآيات المتشابهة:

لقد سلك العلماء عدة طرق لتعليل الاختلافات بين الآيات المتشابهة فمنها:

١ــ النظر إلى مواقع الآيات في سور القرآن وسياقات الآيات.

٢-النظر في معاني المفردات

٣ــ النظر في موضوع السورة.

٤ــ النظر إلى أحوال المخاطبين.

٥ــ النظر إلى الترتيب القرآني حسب المصحف وحسب النزول.

٦ــ النظر في الحوادث وأسباب النزول.

المبحث السابع/ أمثلة لتوجيهات العلماء للمتشابه اللفظي في القرآن:

المثال الأول: قوله تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ} [الحجر، الآية (٣٥)] جاءت كلمة "اللعنة" في هذه الآية معرَفه بأل التعريف، ووردت في موضع أخر "لعنتي" بالإضافة، قال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ} [ص، الآية (٧٨)].

قال النيسابوري في تفسيره: "وإنما ذكر اللعنة هاهنا بلام الجنس لأنه ذكر آدم بلفظ الجنس حيث قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ} [الحجر، الآية (٢٨)]، ولما خصص آدم بالإضافة إلى نفسه في سورة ص حيث قال تعالى: {قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ} [ص، الآية (٧٥)]، خصص اللعنة أيضا بالإضافة فقال: قال تعالى: {وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ} [الحجر، الآية (٣٥)] فافهم"[١].

المثال الثاني: تقديم وتأخير (مواخر) على (فيه):

قال تعالى: {وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ} [النحل، الآية (١٤)].

الآية التي تقابلها قوله تعالى: {تَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تشكرون} [فاطر، الآية (١٢)].

قال ابن جماعه: "أن آية النحل: سيقت لتعداد النعم على الخلق بدليل تقديم قوله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}. وآية فاطر: سيقت لبيان القدرة

(١) النيسابوري، الحسن بن محمد القمي، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، (١٤/٢٢٠-٢٢١).

والحكمة بدليل قوله تعالى: {واللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [فاطر،(١١)]"[1]

ثم قال: "وقدم (مَوَاخِرَ) على (فيه) لأنه امتن عليهم بتسخير البحر، فناسب تقديم (مَوَاخِرَ) –أي شاقة للماء–وأيضاً ليلي المفعول الثاني المفعول الأول لـــ (ترى) فإنه أولى من تقديم الظرف.. وقدم (فيه) على (مَوَاخِرَ) لأن شق الفلك الماء لجريانه فيه آية من آيات الله تعالى فالتقدم فيه أنسب للفلك."[2].

المثال الثالث: تقديم وتأخير لفظ (النفع)على (الضر):

في قوله تعالى: {قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ} [الرعد، الآية (١٦)].

تقابلها قوله تعالى من سورة الفرقان: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا} [الفرقان، الآية (٣)].

وقد وجه ابن الزبير الغرناطي في كتابه ملاك التأويل هذا بقوله: "والجواب عن ذلك، والله أعلم: أن آية الفرقان قد عطف عليها بالواو المشركة في الإعراب والمعنى قوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا}، وقدم قبلها ما عطفت عليه بالواو أيضاً وذلك قوله تعالى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا}.

فقد اتفقت هذه الجمل المعطوفات في انطواء كل جملة منها على متقابلين كالضدين، ففي الأولى: عدم الخلق في قوله: (لَا يَخْلُقُونَ) مقابلاً للخلق والحياة، وفي الثانية: الضر مقابلا النفع، وفي الثالثة: الموت مقابل الحياة، وبنى مجموعها على تأخير أشرف المتقابلين؛ ففي الأولى الإشارة إلى الخلق في قوله تعال: (وَهُمْ يُخْلَقُونَ)، وكذا في الثانية الضر والنفع أشرف، وفي الثالثة الموت والحياة والحياة أشرف، فروعي تناسب الآي على ما أوضحنا، فقدم الضر على النفع في آية الفرقان.

([1]) كشف المعاني، (٢٢٦).

([2]) المصدر السابق.

أما أية الرعد فلم يعرض فيها ما يُحمل على ما ذكر من التناسب فجاءت من حيث أفردت على ما يجب من تقديم النفع على الذي هو مطلب العاقل، وكأن قد قيل فيها: إذا لم ينفعوا أنفسهم فكيف ينفعونكم؟ ثم أتبع بما يكمل به التعريف بحال (من) اتخذوهم أولياء من أنها لا تضر ولا تنفع، فجاء كل على ما يجب ويناسب، ولا يمكن خلافه.

المثال الرابع: تم تقديم كلمة "بالقسط" على كلمة "شهداء" في قوله تعالي: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ ۚ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا)) [النساء، الآية (١٣٥)] ،وتم تأخيرها في قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ)) [المائدة، الآية (٨)].

قيل قدم القسط في سورة النساء، وأخر في المائدة اهتماماً بالعدل في النفس والوالدين والأقربين، لأن ذلك مظنة العدل[١].

المثال الخامس: اختلاف الضميرين في (فيه) و(فيها) مع اتحاد المعنى:

الآية قوله تعالى: {الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء، الآية (٩١)]، الآية التي تقابلها في قوله تعالى: {ومَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} [التحريم، (١٢)]

يقول الإسكافي في توجيه الاختلاف في الضميرين مع اتحاد المعنى: " لما كان القصد في سورة الأنبياء إلى الإخبار عن حال مريم وابنها، وأنهما جُعلا آية للناس، وكان النفخ فيها ممّا جعلها حاملا، والحامل صفة للجملة، فكأنه قال: {الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ}، فصيّرها النفخُ حاملا حتى ولدت، والعادة جارية أن لا تحمل المرأة إلا من فحل، و لا يولد الولد من غير أب، فلما كان القصد التعجب من حاليهما، وأنها بالنفخ صارت حاملا ردّ الضمير إلى جملتها، إذ كان النفخ في فرجها نفخاً فيها أوجب القصد إلى وصفها بعد النفخ بصفةٍ ترجع إلى جملتها دون بعضها، كان قوله: (فنفخنا فيها) أولى من قوله: (فنفخنا فيه) .

وأما قوله في سورة التحريم: {مَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ}.

---

(١) ابن فودي، ابو محمد عبد الله بن محمد بن عثمان، ١٣٨٠ه، ضياء التأويل في معاني التنزيل (٢١٣/١).

فلما لم يكن القصد فيه إلى التعجّب من حالها بالحمل عن النفخ، وولادتها لا عن اقتراب فحل لم يكن ثَمّ من القصد إلى وصف جملتها بغير الصفة التي كانت عليها قبلها ما كان في الآية الأولى، فجاء اللفظ على أصله، والمعنى: نفخنا في فرجها، ولم يُسَقِ الكلامُ إلى ما سيق إليه في سورة الأنبياء من وصف حالها بعد النفخ، فاختلفا لذلك"[1].

وافق الكرماني ما ذهب إليه الإسكافي فقال: "المقصود في هذه السورة ذكرها وما آل إليه أمرها، حتى ظهر فيها ابنها وصارت هي وابنها آية، وذلك لا يكون إلا بالنفخ في حملها وتحملها والاستمرار على ذلك إلى ولادتها فلهذا اختصت بالتأنيث.

وما في التحريم مقصور على ذكر إحصانها وتصديقها بكلمات ربها وكأن النفخ أصاب فرجها وهو مذكر والمراد به فرج الجيب أو غيره فخصت بالتذكير"[2].

المثال السادس: الإبدال في تغاير لفظي (ربك) ولفظ (الله):

في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام: ١١٢]. الآية التي تقابلها في قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام: ١٣٧]، الآيتان في إثبات مشيئة الله النافذة، وأنّ كلّ شيء تحت مشيئته من فعل خير أو خلافه، وعبّر عن ذلك في الآية الأولى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ}، وقال في الثانية: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ}، قال الاسكافي في سر التغاير بين اللفظين "أنّ الآية الأولى التي جاء فيها قوله:{وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ}، ذكر الربّ؛ لما فيه من الحماية والرعاية والتربية له –صلى الله عليه وسلم– في سياق ما تعرّض له الأنبياء من أذًى وعداوات، يقول تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا}، أمّا الآية الثانية فذكر فيها الاسم الأعظم؛ لأنه جاء قبلها إشراكُهم، فناسب إنزال هذا الاسم؛ لأنّ فيه عنوان الألوهية التي تقتضي التوحيد لا الإشراك"[3]، ووافقه عليه الغرناطي، وابن جماعة"[4].

---

(1) درة التنزيل، (١/٩١٢-٩١٣)<

(2) البرهان في توجيه متشابه القرآن، (١٨٠).

(3) أنظر: درة التنزيل وغرة التأويل (١/٥٠٨).

(4) أنظر: ملاك التأويل (١/٤٦٩)؛ كشف المعاني في المتشابه من المثاني، ص١٦٥

أمّا الكرماني فله رأيٌ ثانٍ، فيرى أنّ قوله: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ}، وقع بعد آيات ذُكِر الربّ فيها أربع مرات، فختمها بما يوافق أوّلَها آخرُها، أمّا الآية الثانية فيرى أن قوله: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ}، وقع بعد قوله: {وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ} [الأنعام: ١٣٦]، فختم بما بدأ[١]. ومثله قال الأنصاري[٢].

المثال السابع: ذكر كلمة (رغداً) في قوله تعالى: ((وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)) [البقرة:٣٥]

وحذفها في قوله تعالى: ((وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)) [الأعراف:١٩]

قال الإسكافي في سر الإتيان بقوله: (رَغَدًا) في سورة البقرة، وحذفها في سورة الأعراف: "لأنه لما أسند الفعل إلى نفسه تعالى؛ كان اللفظ بالأشرف الأكرم، فذكر معه الإنعام الأجسم، وهو أن يأكلوا رغداً، ولما لم يسند الفعل في سورة الأعراف إلى نفسه؛ لم يكن مثل الفعل الذي في سورة البقرة، فلم يذكر معه ما ذكر فيها من الإكرام الأوفر، وإذا تقدم اسم المنعم الكريم؛ اقتضى ذكر نعمته الكريمة"[٣].

ما ذكرناه من أمثلة يفي بالغرض.

---

(١) انظر: البرهان في متشابه القرآن، ص١٧٦.

(٢) أنظر: فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، ص ١٧٤.

(٣) أنظر: درة التنزيل وغرة التأويل (٢٣٧/١)؛ ملاك التأويل (٣٧/١).

الخاتمة:

في ختام هذا البحث تبين لنا الجهود الكبيرة التي بذلها العلماء في بيان توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، ودقة فهمهم للمتشابه اللفظي واتساع مداركهم، وسعة اطلاعهم وربطهم المتشابه بالعلوم الأخرى، مما جعلهم المرجع الأول في علم توجيه المتشابه.

كما تبين من الدراسة تعدد اتجاهات التصنيف في توجيه المتشابه اللفظي وتنوعها بين اتجاه وصفي تحليلي، واتجاه مقارن واتجاه تعقيبي استدراكي...الخ.

كذلك اتضح تأثر العلماء الذي ألفوا في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن بالخطيب الإسكافي الذي يعد من رواد التأليف في هذا الفن.

أيضاً تبين هناك تشابه كبير في توجيهات العلماء للمتشابه اللفظي في القرآن، واتفاقهم إلى حد كبير على توجيه المسائل نفسها.

أيضاً استبان تنوع المصادر التي اعتمد عليها العلماء في توجيه المتشابه اللفظي في القرآن، والطرق التي سلكوها لتعليل الاختلافات بين الآيات المتشابهة كالنظر إلى مواقع الآيات في سور القرآن وسياقات الآيات، موضوع السورة، والنظر إلى أحوال المخاطبين وغيرها.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،،،

مصادر البحث

١ــ الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.

٢ــ البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، أبو القاسم برهان الدين محمود ابن نصر الكرماني، تحقيق عبدالقادر أحمد العطا، مراجعة وتعليق: أحمد عبدالتواب عوض، دار الفضيلة للنشر، ٢٠١٠م.

٣ــ البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، الطبعة الأولى، ١٣٧٦هـ - ١٩٥٧م.

٤ــ خزانة الأدب وغاية الأرب، ابن حجة الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله الحموي، دار ومكتبة الهلال–بيروت، ٢٠٠٤م.

٥ــ درة التنزيل وغرة التأويل، أبو عبدالله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي، دراسة وتحقيق وتعليق: د.محمد مصطفي آيدين، الناشر جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٦ــ التعريفات، علي بن محمد بن الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م

٧ــ تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تحقيق سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ.

٨ــ تفسير الزمخشري (الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل)، أبوالقاسم محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٩ــ تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق عبدالله بن عبدالمحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولي ١٤٢٢هـ.

١٠ــ توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين أحمد الغرناطي وفاضل السامرائي، دراسة مقارنة، محمد رجائي الجبالي، رسالة دكتوراه، جامعة مالايا ــ كوالالمبور، قسم القرآن والحديث، أكاديمية الدراسات الإسلامية ٢٠١٢م.

١١ــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود الحسيني الألوسي، تحقيق على عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـــ.

١٢ــ ضياء التأويل في معاني التنزيل، لابي محمد عبد الله بن محمد بن عثمان الملقب بفودي، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ١٣٨٠هـــ.

١٣ــ غرائب القرآن ورغائب الفرقان، الحسن بن محمد القمي النيسابوري، تحقيق زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـــ.

١٤ــ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، أبو يحيى زكريا بن محمد الأنصاري، تحقيق محمد على الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـــ.

١٥ــ لسان العرب، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـــ.

١٦ــ كشف المعاني في المتشابه من المثاني، أبو عبدالله محمد بن إبراهيم بن جماعة الكناني، تحقيق عبدالجواد خلف، دار الوفاء، المنصورة، الطبعة الأولى ١٤١٠هـــ.

١٧. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي المحاربي تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة الأولى – ١٤٢٢

١٨ــ المتشابه اللفظي في القرآن الكريم دراسة مقارنة بين الإسكافي والغرناطي، لبيب محمد جيران صالح، الناشر: دار الفاروق، الأردن، الطبعة الأولى ١٤٣١هـــ.

١٩ــ المتشابه اللفظي وتوجيهه في القرآن الكريم دراسة موضوعية، محمد راشد البركة، رسالة ماجستير، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢٥ه.

٢٠ــ معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس القزويني، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـــ.

٢١ــ المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٢ه.

٢٢ــ من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، محمد بن على الصامل، دارإشبيليا، ١٤٢٦ه.

٢٣ــ ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آى التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، تحقيق سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.